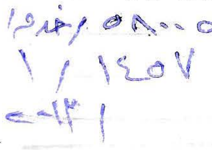
تربيـة الأطفـال

في تعليم القديس يوحنا ذهبي الفم





دار مجلة مرقس

تربية الأطفال

في تعليم القديس يوحنا ذهبي الفم

دار مجلة مرقس

كتاب: **تربية الأطفال في تعليم القديس يوحنا ذهبي الفم**

ترجمة وإعداد: **رهبان دير القديس أنبا مقار.**

الناشر: **دار مجلة مرقس.**

الطبعة الأولى: ١٩٩٣

مطبعة: دير القديس أنبا مقار – وادي النطرون.

ص.ب. ٢٧٨٠ – القاهرة.

هذا الكتيب عبارة عن مقالات نُشرت في مجلة مرقس أعداد مارس سنة ١٩٨١، يونيو وسبتمبر واكتوبر سنة ١٩٨٤ وهو ترجمة مقال:

١- Raising Children, by Kathleen Haverlack الذي نُشر في مجلة: The Orthodox Educator في شتاء عام ١٩٨٢.

٢- *St. John Chrysostom and Rearing Children* by Kathleen Haverlack, published in: The Word, يناير عام ١٩٨٠.

وكاتبة المقال حائزة على درجة الماجستير في اللاهوت من معهد فلاديمير (الروسي) الأرثوذكسي بنيويورك وهي تعمل في حقل التربية المسيحية.

أما أقوال القديس يوحنا ذهبي الفم التي استعانت بها المؤلفة فقد اقتبستها عن كتاب:

Chrysostom, John. *An Address on Vainglory and the Right Way for Parents to Bring up their Children.* M.L.W. Laistner, ed. Cornell University.
والذي صدر عام ١٩٥١ صفحة ٨٥-١٢٢.

المحتويات

مقدمة

خلال تاريخ البشرية كله، اهتم الوالدون بكيفية تربية أطفالهم وبالوسائل المؤدية إلى ذلك. إن الوالدين الأرثوذكسيين والأشابين والذين هم منشغلون مباشرة بخير الأطفال، كل هؤلاء يبحثون ويجاهدون من أجل الوصول إلى إجابات على هذا الموضوع. وإن المكتبات مكتظة بالكتب والمجلات والمقالات المنشورة عن هذا الموضوع، كما تقدم الكليات الجامعية دورات دراسية حوله ضمن فروع علوم النفس والتربية والاجتماع؛ بل إن هذه القضية تشغل برامج التليفزيون والإذاعة.

ولقد أمضيت جزءاً من حياتي في الكلية أدرس هذه الاتجاهات وأقرأ آخر الأبحاث وأقارن الإحصائيات الخاصة بها. وقبل تخرجي عثرت على مقال كتبه القديس يوحنا ذهبي الفم رئيس أساقفة القسطنطينية في القرن الرابع وعنوانه: «المجد الباطل والطريقة الصحيحة لتربية الآباء لأطفالهم». وبعد أن قرأت المقال بدأت أعيد مراجعة التقييم والتفكير والدراسة التي توصلت إليها في هذا الموضوع.

ومهما كانت الخطوط الرئيسية لتوجيهات القديس يوحنا، إلا أنه قدَّمها ضمن إطار تعاليم الكتاب المقدس وإجمالي حياة الكنيسة في أبعادها الليتورجية والسرائرية والروحية. كم منا يفعل ذلك، أي يربي أولاده بدون الجهد الشديد وعمق التفكير الذي لهذا القديس؟ إن

المقال يبرز أن الوالدين في القرن الرابع كانوا يواجهون مع أولادهم ذات المشاكل التي يواجهها الوالدون اليوم، مثل مشاكل الطفل الندّ مع أخيه، والتأثيرات الخارجية عليه، والاختلاط بين الجنسين، والسلوك العشوائي، وحتى ارتياد المسارح الذي يتغلغل ويؤثر في سلوك الأطفال.

إن القديس يوحنا ذهبي الفم، وهو يعطي التوجيهات في هذه الأمور، يقرر أول ما يقرر أن تربية الأطفال تتركز وينبغي أن تتركز في المنزل. ولقد فوجئت بتفهُّم القديس يوحنا لنفسية الطفل ولأساسيات التربية وعملية تهذيب الأطفال، وتأسفت لعدم قراءتي لمقاله هذا قبل كل ما قمت به من أبحاث علمية سابقة. ولأنه كان راعياً صالحاً، فقد كان يضع في اعتباره ضعف طبيعتنا البشرية وهو يخوض في هذه المجالات، ولكن دون أن يسمح بأي انحراف عن تعاليم الكنيسة، لأنه ينبغي علينا كمسيحيين أن نجاهد لنتغلب على كل الإغراءات ونظل أمناء لتعاليم المسيح. إن أفكار ذهبي الفم بسيطة ومقبولة وتمس صميم الموضوع. ولقد وجدت معظم محتويات المقال غير قابلة للمناقشة، وإن حُبَّه للوالد وللطفل أمر مُلهَم حقاً؛ وذلك حتى عندما قرأتها مرة أخرى بعد ذلك بعدة سنوات.



القديس يوحنا ذهبي الفم

وتربية الأطفال

(ملخص وافٍ للبحث)

هل يشعر الوالدان أنهما آباء بالروح أيضاً لأولادهم، بأن يكونوا مثالاً مسيحياً يُحتذى به، لتكوين أسرة مسيحية ترتفع بمستوى الأولاد ليكونوا أعضاء في هيكل أسرة المسيح الكبيرة - الكنيسة - وهل يشعر الوالدان أن الإيمان أو الحالة الروحية التي يعيشان فيها إنما هي مسلَّمة بالضبط لأولادهما[1]؟ نحن نلجأ في هذه الأيام إلى المعلِّمين وإلى علماء النفس والاجتماع وإلى الأصدقاء، إلى المصلحين والموجهين لترشيدنا وتبصيرنا إلى طرق تربية أولادنا، مُعتبرين إياهم المصدر الأول للمعلومات والمعرفة والتوجيه والدعم. حقاً نحن لا ننكر قوة وفاعلية هذا العمل من عدة نواحٍ تربوية تزيدنا تفحُّصاً لإدراك كُنْه الحياة بوجه عام، ولكن ألم يحن الوقت بعد للرجوع إلى المنبع الحقيقي والأصيل: المسيح والكنيسة؟ ولم تحرمنا الكنيسة من آباء أعمدة، استرشدوا بالإنجيل وتربُّوا داخل الكنيسة، ونموا وسط عائلات مسيحية حقَّة مثل القديسين باسيليوس الكبير ويوحنا ذهبي الفم وغريغوريوس النيصي. هؤلاء دعَّموا الكنيسة بتراث زاخر من توجيهات ونصائح في التربية

---

(١) انظر ٢ تي ١:٥ حيث يوضّح بولس الرسول أن الإيمان يورَّث، وقد توارثه تيموثاوس عن أمه لوئيس التي ورثته بدورها عن أمها أفنيكي.

السليمة للأطفال، علينا أن نعيها وأن ندرسها بعد أن ندرس الكتاب المقدس أولاً طبعاً، لأنه هو كان مرشدهم ومؤدبهم الحقيقي.

القديس يوحنا ذهبي الفم والوالدين:

كتب ذهبي الفم رسالة إلى الآباء والأمهات تقع في حوالي تسعين فقرة، وهو يعطي فيها للوالدين نصائح رعوية ونفسية وتعليمية، ويضع في الصدارة الكنيسة والكتاب المقدس. إنه يناقش أهمية أن يكون الوالدان المثل المُحتذى لأولادهم، وكذلك طرق توصيل التعليم المسيحي داخل المنزل، والفضائل الضرورية التي يجب أن يجاهد الوالدان ليتحليا بها حتى يبثّاها في أبنائهم، وكيف يمكن للوالدين أن يَسْموا بأبنائهم بفاعلية شديدة ليعيشوا جميع حياتهم في المسيح. لو مارس الوالدان عملياً هذه النصائح، فإنهما يستطيعان أن يلقيا نظرة أكثر عمقاً لدورهما الأبوي لتعيش الأسرة في إطار محكم من الحياة الإلهية.

يقول القديس ذهبي الفم:

[إنه يجب أول كل شيء أن نرسِّخ في أولادنا معنى الحياة، وهو أن نُرضي الله وأن نحبَّه ...، وعندئذ فإن الأسرة سوف تنال بركاته (فقرة ٩٠) وهي «ما أعده الله للذين يحبونه» (١كو ٢:٩). يجب أن نكون متحققين في دواخلنا أننا نربي أولادنا لا لنفرح ونتسلّى بهم، نحن أو أجدادهم، ولا حتى للمجتمع، كلاَّ، بل لله فقط، لأنه هو جابلنا وهو أبونا الذي نحبه لأنه هو أحبنا أولاً. نحن الوالدين إنما نربِّي حكيماً مجاهداً، مصارعاً، مواطناً سماوياً (٣٩) مصارعاً لمجد لمسيح (١٩)].

وقد عقد ذهبي الفم هذه المشابهة أننا [نشكِّل هذه التماثيل العجيبة (أي أولادنا) لتكون لله. الله يسكن في طفلنا، ويجب علينا أن نرتفع بابننا بلياقة ليكون لله (٢٨)، وكما يعمل النحَّات، هكذا يجب علينا أن ننزع ... ما هو غير مناسب ونضيف ما هو ناقص، بإضافة العادات الطيبة واقتلاع الأخطاء (٢٢). لذلك علينا كل صباح وكل مساء أن نصلِّي لله ونسأله أن يعيننا لنسمو بأولادنا ليحبوه ويسلكوا في طرقه ووصاياه. وفوق الكل، يجب علينا أن نعلِّم أولادنا الحكمة لمخافة الله حتى يعرفوه ويحبوه، لأن «رأس الحكمة هي مخافة الله» (أم ١: ٧)]

ومخافة الله هذه لا تعني التوسُّل لله بصفته قاسياً أو عديم الشفقة، ولكن هي معرفة رهبة الوقوف في حضرته وخشية واحترام وجوده في داخلنا ورغبتنا الحارَّة بأن نكون أطفاله المحبوبين. مخافة الله بهذه الكيفية لا يمكن أن تُعلَّم ولكنها تُسلَّم، إذ يمكن أن نعبِّر – نحن الوالدين – عنها لأولادنا بحياتنا العملية، بأن نصلِّي معاً، نذهب للكنيسة معاً، نحب بعضنا بعضاً، نجعل الله مركز أسرتنا وحياتنا. الأطفال بالضرورة يحسون هذا ويشعرونه بسهولة، وسيقتفون خطواتنا بكل سهولة كلما نموا وكبروا.

الأسرة كجماعة:

الصلاة العائلية ضرورية للغاية، إذا ما رآنا الطفل نصلِّي، فإنه سيبدأ عن طريقها حياته الخاصة في الصلاة وسيقوى ويتشدد بنا كقدوة، علينا أن نعلِّمه أن يستخدم «ختم الإيمان» أي إشارة الصليب في كل كلمة وكل فعل (٢٢). عندئذ سيتعلَّم طفلنا من هذا المعنى أن حياته

كلها صلاة.

يقول لنا ذهبي الفم أن نعلّم طفلنا الصلاة بحرارة وبانسحاق قلب، ونعلمه أن يحافظ على الصلوات الليلية vigils بقدر ما يستطيع (٨٠). ولكن التطرُّف في هذا لن يساعد طفلنا وسيكون عديم الفائدة، يجب أن نكون مساعدين له فقط ولكن ليس هدفنا أن نختبر قوة احتماله. وعلى نفس الخطة يجب ألاّ نثقّل عليه بالأصوام. ولكن التركيز على تنفيذ تعاليم الكنيسة من جهة الصوم يومي الأربعاء والجمعة (انظر الديداخي)(*) هو مناسب (٩٧). علينا أن نعلّمه أيضاً كيف يشكر الله بالترانيم (٣٤). وكلما اجتمعت الأسرة حول المائدة فيجب أن نتلو أو نرنّم الصلاة الربية، وهكذا أيضاً يجب الصلاة بعد الأكل، كما يمكن ترتيل الترانيم المختلفة المتناسبة مع العيد الموافق. وهكذا تلقائياً فإن الأسرة وهي مجتمعة تدخل في مجال حضرة الله ومعرفته من خلال الصلاة.

ويكرر ذهبي الفم مؤكداً أنه ينبغي على الوالدين أن يتأكدا أنهما بالفعل مثلٌ طيب لأولادهما. إن تصرفاتنا تؤثر جداً في أخلاق أطفالنا(٣٦)، لذلك يجب أن نكون ثابتين ونامين في الصلاة، متعلمين كل يوم شيئاً جديداً، لنكون مسيحيين حقيقيين. ويحذّر ذهبي الفم من جهة خطورة تأثير الأصدقاء والجيران في أخلاق أطفالنا، وينصح أنه يجب على الوالدين أن ينتبهوا جداً من جهة الناس الذين يحتك بهم

(*) كتاب «الديداخي» أحد مؤلفات الآباء الرسل منذ القرن الأول وهو يشرح الكثير من المسلّمات التي نمارسها الآن، ومن بينها صومَيْ الأربعاء والجمعة والمغزى منه. وهو مترجم إلى اللغة العربية. ويمكن الحصول عليه من المكتبات المسيحية.

أطفالنا، أصدقاؤنا، أقاربنا، المعلِّمون. ويجب أن نتأكد أنهم مؤازرون لنا في رفع المستوى الروحي لأولادنا لا معوِّقين لمساعينا نحن (٣٧و٣٨).

الهدف من تعليم الأطفال:

يعطي ذهبي الفم أهدافاً معيَّنة لتعليمنا، ويركز على ضرورة الوحدة داخل الأسرة الواحدة، فهي تشكِّل الخطوة الأولى والأساسية لبناء المجتمع المتحد. هنا منبع وأصل التعليم العام للمجتمع (٥٤). هنا الصورة التي تكوِّن عالماً أفضل إذا ما اهتمت الأسر بأعضائها. إن أطفالنا في النهاية سيبدأون في تكوين عائلاتهم على النمط الأسري الذي أعطيناهم إياه. ومثالياً، إذا خطونا الخطوة الأولى بالصواب، فإن العائلات التي ستتكون في المستقبل ستعيش في انسجام وتوافق، وسنكون «أبناء الله»، تماماً حسب القصد الذي قصده منَّا أن نكون عليه عندما خلق الله العالم.

الأسماء المسيحية:

وبعد أن شرح ذهبي الفم بإسهاب علاقات الأسرة مجتمعة من جهة ذهابهم معاً إلى الكنيسة والصلاة العائلية والتسبيح والصوم الجماعي، فإنه يعود ويذكر أهمية تسمية أولادنا بأسماء القديسين والشهداء والرسل (٤٧و٥٠). وبذلك سيتصادق الطفل مع قديس أو قديسة يكون له نموذجاً يحتذيه ليبلغ كماله المسيحي. ويطالب ذهبي الفم الوالدين بأن يحتفلا سنوياً بهذه الذكرى بقوة وبأهمية أكثر من عيد ميلاد الطفل. وهكذا كلما ينمو الطفل ويشب، فإن هذا القديس سيكون بالنسبة له هو «البطل» بدلاً من أن يكون بطله هو ممثِّل أو

مُطرب أو مصارع.

ويحذِّرنا ذهبي الفم من محاكاة العادات الوثنية (٢٨)، ونحن يمكننا أن نقع في خطأ هذه المحاكاة في أعياد الميلاد والقيامة، يجب أن نعلِّم أولادنا أولاً المعاني الروحية لهذه الأعياد، ونتجنَّب التمثيليات الوثنية، بل يمكن استبدالها بالقديسين.

يجب علينا أن نعلِّم أطفالنا الاجتهاد ليزيِّنوا أنفسهم بالفضائل المسيحية (٦٢). ليس علينا أن نغرس هذه الفضائل في أولادنا فقط، بل علينا نحن الوالدين أن نجاهد لتكون أولاً فينا نحن (٧٠).

ويذكر ذهبي الفم أن الصوم الكبير هو من أمتع الفرص التي تجتمع فيها الأسرة لتشبع من كلمة الله ولمناقشة أي الفضائل يجب أن نركز عليها خاصة، ونحن إذا ما أعطينا ابننا قواعد راسخة ومتينة ليتبعها، فإننا نضمن له - بنعمة الله - إطاراً صلباً يحميه من الانزلاق، في المستقبل (٢٠).

ولكن ذهبي الفم اهتم جداً بالوصية الأولى، يجب أن نعلِّم طفلنا أن يحب الله من كل قلبه وفكره ونفسه وقوته، وبالثانية أن يحب قريبه كنفسه. إذا ما استطعنا أن نغرس هاتين الوصيتين في حياة أولادنا، فإننا نكون قد نجحنا، وكل شيء آخر سيوضع في مكانه المناسب أثناء استمرارنا في العمل بتربية أطفالنا.

اقتراحات لممارستها في البيوت المسيحية:

يقترح ذهبي الفم بعض الخطوط لبرنامج تعليمي منزلي، والبؤرة التي يمركز فيها اقتراحاته هي القصص الإنجيلية. يجب أن يبدأ الوالدان بسرد

القصص مبتدئين من سفر التكوين ومنه إلى أسفار العهد القديم كله إلى القصص في العهد الجديد، وعلينا نحن الآباء أن نختار القصة التي تتناسب مع خبرة طفلنا، وبينما نروي القصة يجب علينا أن نضع بعض التعليقات والشروحات التي تثير انتباه طفلنا ونلاحظ مدى استجابته (٣٩). ونحن أنفسنا سنفرح ونتعزّى عندما يبتهج طفلنا ويتفاعل أثناء سرد نفس القصة عليه في الكنيسة (٤١).

وبعد أن ننتهي من سرد الرواية يجب أن نشرح له معناها (٤١). وبالنسبة لنا يجب أن نستمر في دراستنا الخاصة لنكون معلّمين مؤثّرين. ويجب أن نسترشد بمعلمي الكنيسة والآباء الكهنة ونستشيرهم ونعمل باقتراحاتهم من جهة الموضوعات والكتب التي يجب نحن أنفسنا أن نقرأها.

القصة الواحدة تحوي دروساً عديدة (٤٤)، لذلك يجب أن نناقش كل المعاني في جلسات متعددة. يجب أن نلاحظ الأعياد الكنسية والأصوام ليكون حديثنا عنها في أوقاتها، وهذه قد تستغرق أيضاً عدة دروس. وينبّه ذهبي الفم إلى أن المناقشات العميقة في موضوعات الجحيم، وخطيئة سدوم وعمورة، والعقاب ... إلخ يجب ألاّ تُطرح إلاّ بعد أن ينمو طفلنا (٥٢).

ويقول لنا ذهبي الفم أنه يجب أن نهتم بتأديب طفلنا، وكيف يجب ألاّ نتجاهل أهمية التأديب. إن طفلنا في حاجة إلى التوجيه (١٦)، والتأديب والتنظيم، للبناء والإرشاد (٢٧)، يجب أن نكون كالملك والملكة في مسئوليتنا عن نفس ابننا (٢٣). إذا كنّا حقاً نهتم بحياته،

عندئذ سنرى لزوم التأديب بل ونبدأه في طفولته المبكرة (١٩و٥٢)، يجب علينا نحن الوالدين أن نتخذ لأنفسنا كل هذا القانون الملكي (٣٤). إنه «ملكي» لأن الله منحنا أن نكون والدين ويجب علينا أن نرفع ابننا إليه.

إذا ما رتبنا نُظُماً، فيجب أن نتأكد من أن ابننا يستطيع أن يراعيها (٢٤)، وإلاّ صارت بلا منفعة لنا كلينا نحن وهو (٢٦). إذا كَسَر أي نظام فيجب عقابه للتو، ولكن فلْننسَ الواقعة ولْنستمر في معاملته كالمعتاد برفق وعناية (٣٠)، وبإظهار حبنا وعواطفنا من جهته وبتقبيله وبإعطائه فرص المشاركة معنا في الأمور العائلية (٧٨).

من المهم جداً علينا نحن الوالدين أن ننسى الخبرات الماضية غير السارة وأن نُحضِر طفلنا للمسيح. الله عاقب آدم وحواء ولكنه استمر في حبِّه لهم وساعدهم ليعودوا إليه. يجب علينا نحن الوالدين أن نحكم ولدنا بنفس الطريقة التي يحكم بها الله العالم، إنه عنيف مع الأشرار ومترفِّق ورحوم ومكافىء للأبرار (٦٧). ولكن لا يجب أن نتطرَّف في استخدام العصا لئلا يرذلنا ابننا عندما يكبر.

خاتمة من المترجم:

وفي ختام عرضنا لموضوع ذهبي الفم الشيِّق هذا عن تربية الطفل، يجب علينا نحن الوالدين أن نحترم هذه المسئولية الخطيرة. إن الله باركنا بأن منحنا أولاداً «البنون ميراث من عند الرب» (مز ١٢٧:٣)، فيجب علينا الآن أن نبارك الله بأن نوجههم إلى محبته، حتى يعيشوا حياتهم في المسيح «ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله ...» (عب ٢:١٣).

إن ما يجب أن ينتظره الوالدان في حياتهما ليس المكافأة من الأولاد، ولكن نداء الآب السمائي لهم عندما يقدمونهم إليه وهم فيه: «نَعِمَّا أيها العبد الصالح والأمين، كنتَ أميناً في القليل فأُقيمك على الكثير، ادخل إلى فرح سيدك.» (مت ٢٥: ٢١)

فحص البواعث التي تحركنا

يبدأ القديس ذهبي الفم موضوعه بنصائح قوية للوالدين، فيقول:

[إن الأب(٢) يفكر في كل الوسائل، ليس التي بها يوجه حياة الطفل بحكمة، بل التي بها يزينه ويلبسه الملابس الجميلة والحلي الذهبية. لماذا تربي ابنك على هذه الرفاهية وهو لا يزال يجهل معنى هذا البذخ؟ إن الحاجة هي إلى المرشد القوي الذي يوجه الصبي، وليست إلى المال الذي يغرس فيه منذ البداية الولع المفرط بالثروة، ويعلمه ويثير فيه الانتباه إلى الأشياء عديمة المنفعة. لماذا تحيك ضد ابنك أكبر مؤامرة خيانة مثل هذه؟ لأجل هذا السبب فنحن نرى الآن أن الرذيلة يصعب التخلص منها لأنه لا أحد يعتني بأولاده، أو يتحدث إليهم عن العفة والرزانة أو عن

(٢) ربما كان قراء القديس يوحنا ذهبي الفم هم الآباء المهتمين بالتعليم الأساسي لأولادهم، لذلك فهو يوجه معظم كلامه إلى الآباء والأبناء. ولكن ليس معنى هذا أن الأمهات مستثنيات من عملية تربية الأبناء، أو أن البنات يختلفن عن الأولاد في هدف التربية. ومع ذلك فإن القديس يوحنا ذهبي الفم يوجه كلامه أحياناً إلى الأمهات والبنات، ويتحدث عن العمل المشترك للوالدين.

احتقـار الغنـى والصيـت، أو عـن الوصايـا المسـجلة في الكتـب المقدسـة.

في يومنا هـذا، كـل إنسـان يبـذل أقصـى جهـده لتدريـب ابنـه على القـانون والآداب والحديـث، أمَّـا عـن تدريـب نفسـية هـذا الابن في الفضيلة فلـم يهتـم أحـد بذلـك].

هنـا يؤكـد القديـس يوحنـا علـى موضوعـين رئيسـيين يظهـران في كتاباتـه:

١ – إن الوالديـن مسئولان عـن تربيـة أولادهمـا.

٢ – ينبغـي عليهمـا توجيـه أولادهمـا نحـو الحكمـة.

وليس فقـط يجـب على الوالديـن أن يكونـا «مرشـدين حـازمين» بـل ينبغـي عليهمـا أيضـاً أن يكونـا «نـاقدين غيوريـن»، ويجـب أن يشـكِّلا الطفـل، فـالوالدان (حسـب تعبير القديـس) همـا: «مثـل صـانعي التمـاثيل، يزيلـون الزوائـد ويضيفـون النواقـص، يفحصـون أولادهـم يومـاً بعـد يـوم ليروا أيـة صفـات جيـدة حصلـت عليهـا طبيعتهـم حتـى يكـثروا منهـا، وأيـة أخطـاء حتـى يسـتأصلوها».

ولكـي يكـون الوالـدان مدرِّبَيْـن صـالحين، ينبغـي أن يتحققـا مـن الأولويـات في تدريبهمـا لابنهمـا: هـل نريـد لأولادنـا أن يكونـوا مشـغولي البـال باكتسـاب الماديـات والشـهرة الاجتماعيـة أولاً، أم نريـد لهـم أولاً أن يبحثـوا و«يتعلَّمـوا عـن ملكـوت السـموات والمكافـأة العظمـى الـتي تنتظـر الذيـن يعيشـون الحيـاة الرزينـة؟» ليـس «الكفـاف» هـو القضيـة، ولكـن الإفـراط ومـدى مـا نضيعـه مـن وقـت وطاقـة في الترفُّـه، مقـابل قلـة مـا

نصرفه من أجل البلوغ نحو الحياة الفاضلة.

قد يكون القديس يوحنا قاسياً في حكمه، ولكن كلماته قائمة على المحبة لكلا الطرفين: الآباء والأبناء. ونضرب لذلك مثلاً واحداً: عندما يبدأ العام الدراسي كل عام نرسل أولادنا إلى المدرسة ونزودهم بالنصائح العملية: استذكر دروسك جيداً، انصت إلى مدرسك... إلخ؛ ونكسوهم بالملابس الجديدة واللوازم الأخرى، ونجعل أوقاتنا مشغولة بالزيارات وبالأعمال الإضافية لزيادة الدخل وارتياد مباريات كرة القدم. ولكن هل أعددنا أولادنا وأنفسنا بالمثل - على الأقل - لمدرسة الكنيسة؟

مسئولية الوالدين

لأجل مَنْ كل هذا؟

ربما نحن لم نفكر إطلاقاً في هذا السؤال. وربما تكون إجابتنا السهلة: «من أجل طفلنا» و«من أجل الله» و«من أجل المجتمع» و«من أجل أنفسنا»، دون التحقق من الأثر ومدى التأثير الناجمين عن كل إجابة من هذه. إن الوالدين أساساً يربيان أولادهما «لأجل الله». فطالما أن ولادة طفل هي عطية من الله للوالدين وللعالم وللكنيسة - وهي وسيلة الله لإظهار حبه لنا - فمن اللائق والمعقول، بل ومن الطبيعي جداً، أن يجاهد الوالدان لإظهار حبهما وفرحهما وشكرهما لله، وذلك بتربية طفلهما ليكون ابناً لله.

يقول القديس ذهبي الفم:

[يجب أن نعتني بهذه "التماثيل" الجميلة التي بين أيدينا... لنشكلها لأجل الله، لأنها ليست جامدة مائتة، بل هو ملك الكون الذي أراد أن يسكن فيها. إذاً، فلْنَبْنِ الطفل بكلمات الله. لأنكم تربون فيلسوفاً (أو حكيماً لله) وبطلاً (يركض نحو ملكوت الله)، ومواطناً للسماء].

والقديس يوحنا ذهبي الفم لم يتجاهل الإشارة إلى الفوائد التي يجنيها الوالد الذي يربي ابنه لأجل الله. لأن الوالد الذي يعمل كل ما في وسعه بإخلاص، ويجاهد ولا يدخر وسعاً في هذا العمل، يباركه الله لأجل ذلك، بل حتى يباركه في ابنه نفسه: [أنت ستكون أول من يستفيد إذا كان لك ابن صالح، ثم بعد ذلك الله. فأنت تتعب **لنفسك**]، [أَظهِرْ اهتمامك بابنك وستكون **لك** المكافأة بأنواع شتى]، [وإذا تعلم الوالد كيف يهذب أطفاله، فهم أيضاً بدورهم سيتعلمون تهذيب أولادهم فيما بعد]. فأي فرح سيكون للجدود؟ إن ذهبي الفم يقول إنه ليس فقط الأجيال التالية ستستفيد من الأولاد المهذّبين جيداً بل العالم كله أيضاً هو المستفيد: [إن جُل همنا هو تربية وتعليم العالم كله].

إن الوالدين هما أيضاً مسئولان عن ابنهما، وإن كيفية تدريبهما له على ذلك يمكن أن تساعد أو تعوق دخولهما إلى ملكوت الله، وهذا هو محور الموضوع الذي يتضح من مقالة ذهبي الفم: [وعلى ذلك فسنكون قادرين على أن نرضي الله بتربية «أبطال» له، حتى نتمتع نحن وأولادنا بالبركات الموعود بها للذين يحبونه].

إنـي لا أظـن أننـا نريـد أقـل مـن ذلـك لأولادنـا.

فضائل ورذائل

يحصـي ذهبي الفـم عـدة خصـال جيـدة أو فضـائل يمكـن للوالديـن أن يسـاعدا الأولاد علـى بلوغهـا، وسـجايا رديئـة أو انفعـالات للتخلـص منهـا. وهنـاك بـالطبع أكـثر ممـا أورده ذهـبي الفـم. ولكنـي أعتقـد أنـه مـن الشيِّق لنا أن نعرف بعض هـذه الخصـال الـتي يعددهـا القديـس ذهـبي الفـم.

فمـن الفضـائل: الاعتـدال (وعلـى الأخـص في الطعـام والشـراب)، الإزدراء بـالثروة والشـهرة، اللطـف، التقـوى، السـمو في الكـلام، الرصانـة، الاستقامة، تمجيـد الله، الصـلاة، الوقـار، قمـع الـذات، البسـاطة، الرزانـة، الحكـم السـليم علـى الأمـور، الثبـات، الشـكر، الفهـم، التيقـظ، العفـة. ومـن الخصـائل الرديئـة: السُّـكر، ذلاقـة اللسـان، الحماقـة، الحقـد، العجرفـة، إيـذاء الغـير، الخلاعـة، كـلام الفسـق، المشاكسـة، التهـور، الإنحـلال الخلقـي، حـدة الطبـع، الافـتراء، الإغاظـة، الحَلْـف.

ومـن المهـم أن نتذكَّـر أن هـذه الفضـائل والرذائـل تؤثـر في حيـاة الطفـل ككـل، إنْ في أعمالـه أو في كلامـه أو في تصرفاتـه. ويركِّـز ذهـبي الفـم عليهـا عندمـا يتكلـم عـن حـواس الطفـل الـتي مـن خلالهـا [إمـا أن تفسـد الأفكـار أو توجَّـه توجيهـاً سـليماً].

والحكمـة – كمـا يشـير إليهـا ذهـبي الفـم – هـي «المبـدأ الرئيسـي الـذي يتحكـم في كـل شـيء». فـالوالدان يجـب أن يوجهـا الابـن إلى أن يكـون

حكيماً في البلوغ إلى الفضائل السماوية وفي الجهاد ضد الرذائل، وينبغي أن يساعداه على التمييز بينهما، كما ينبغي أن يعلماه عن «الله وكل الكنوز المذخرة في السماء، وعن الجحيم والملكوت اللذَيْن في العالم الآخر» والكائنَيْن لأجل الحكماء وغير الحكماء.

[فلنغرس فيه، إذاً، هذه الحكمة وندربه عليها، حتى يحذر النزوات الجسدية وحب الثروة وحب الصيت والشهرة والنزوع إلى التسلط، بل ويزدري بها، ويجاهد نحو ما هو أسمى. إن خوف الله والقدرة على رصد هذه الاهتمامات البشرية، يكفيان لأجل الحكمة].

كيف يكون الإنسان حكيماً؟

يركز ذهبي الفم على عدة مجالات واقعية للوالدين لمساعدة الأطفال لكي يكوِّنوا حكمتهم ويستخدموها. فالطفل ينبغي أن يتدرب في منزله على التحكم في ميوله الخاطئة مع أسرته. وينبغي عليهم أن يستحثوا الطفل على التدرب على هذا وممارسته. فإذا نجح الولد داخل نطاق أسرته، فسوف ينجح في مدرسته، ثم في عمله، ثم في حياته كلها.

من المهم تعليم الطفل أن **يقبل الخسارات الضئيلة** الآن، لكي يستطيع أن يقبل ويتحمل الخسارات الكبرى عندما يشب رجلاً. ويجب أن يحاول التحكم في غضبه وانفعالاته، وأن يصير متسامحاً

صفوحاً إذا حطم الآخرون لِعَبه، فيقول ذهبي الفم:

[قد يصير الأولاد عنيدين عندما يخسرون مثل هذه الأشياء ويميلون إلى تفضيل خسارة نفوسهم عن أن يذهب المتسبب في الخسارة بلا عقاب].

ولا ينبغي على الوالدين أن يعيدا الشيء الضائع له بسرعة، لأن مثل هذا العمل يمكن أن يزيد من هذه الميول غير المرغوب فيها، وبدلاً من ذلك فلينتظرا حتى ينسى الطفل لعبته ويزول حزنه على ما حدث قبل أن يعوِّض عنه. بالطبع سيشعر الطفل في البداية بالضيق والغضب، ولكن الموضوع هنا هو تدريب قوى الطفل النفسية الداخلية على قبول وتدبُّر الموقف بطريقة مسيحية.

لا تفسد الطفل! بل دعه يعتني بحاجياته الخاصة دون أن يرتكن على الآخرين ليستجيبوا لكل طلباته: «إن هذا سيجعله قوياً وبسيطاً ولطيفاً»، كما يقول ذهبي الفم. هنا ينبغي أن يُعطَى الطفل بعض الواجبات المنزلية المعقولة وبعض المهام الخاصة بالحياة اليومية. فمثلاً أن يحتفظ بحجرته مُرتَّبة، وينظف المكان الذي لعب فيه بعد انتهاء اللعب... إلخ. أي إن اختيار الأعمال التي ننصحه بعملها التي تُظهر ثقتنا فيه يمكن أن تساعده في خلق الشعور بالمسئولية لديه. كما أن أداءه لبعض الأعمال اليومية الخفيفة يمكن أن يعلمه الاعتراف بالجميل عندما يقدم له الآخرون المساعدة، وأن لا يُضيِّع الوقت هباءً.

يقول القديس ذهبي الفم: [فلندرب الأطفال منذ طفولتهم المبكرة **على أن يكونوا صبورين عندما يقاسون من أخطائهم**، ولكنهم إذا

رأوا أحداً آخر يُظلَم ينطلقون بشجاعة لمساعدته على النحو الملائم].
ويمكن الوصول إلى هذا كما يقول ذهبي الفم: [إذا درَّبوا أنفسهم على الصبر والاحتمال بأن يتحاشوا الغضب أو يحجموا عنه، ويفحصوا بتدقيق الأخطاء التي ارتكبوها هم أنفسهم ضد الآخرين].

هنا يضع ذهبي الفم ثلاث نقاط:

الأولى: من الفضيلة أن نقبل كل الآلام دون الاستسلام لميول الغضب والشكوى وتأنيب الآخرين وتبرير النفس.

الثانية: ينبغي أن نساعد بكل جهدنا، وبلا تحفظ، الذين يتألمون بصرف النظر عمَّن هم، وبدون الاستفسار عن ألمهم.

الثالثة: بجعل الطفل يفحص أخطاءه، فإن هذا سيجعله قادراً على أن يصل إلى تأنيب الضمير الذي به يحث نفسه على تغيير سلوكه.

وحتى إذا كانت الآلام التي يعانيها جائرة، فقبولها يُعتبر شيئاً فاضلاً. فيقول ذهبي الفم: [فليكن هذا هو قانون حياته الأول: أن لا يدافع عن نفسه إطلاقاً عندما تُساء معاملته أو عندما يقاسي من محنة، وأن لا يسمح لآخر بأن يفعل ذلك]. وإن سؤال الطفل، وهو على مائدة الطعام مع أسرته، ماذا حدث اليوم في المدرسة، يمكنه أن يثير الحديث عما فعله وشاهده وحدث له.

ويسجل ذهبي الفم تدريباً آخر، وهو تعليم **الطفل الأكبر أن يفضل أخاه الأصغر** في كل شيء. وللأسف فإن النزاع بين الإخوة أمر شائع داخل الأسرة. ورغم أن ذهبي الفم لم يسجل الأشكال الأخرى للصراعات الشائعة مثل: تنافس الصغار على شدِّ الاهتمام

بهـم، وفقـدان الاهتمـام بـالطفل الأوسـط في المجموعـة، وصـراع الأولاد ضد البنات في سـنٍ معينـة، فالنقطـة الـتي يبلّغهـا إلينـا هـذا القديـس هـي أننـا ينبغـي أن نحـاول إزالـة الميـل لـدى الطفـل في جـذب الانتبـاه إلى ذاتـه **دون غيره.**

كـل طفـل علـى انفـراد هـو مخلـوق مـن الله علـى صورتـه ومثالـه، ولذلـك فكـل طفـل لـه أهميتـه ولـه دوره في الإسـهام في الأسـرة. ويجـب علـى الأطفـال أن يحـترموا بعضهـم بعضـاً، ويجـب علـى الوالديـن أن يُلقّنـاهم هـذا الاحـترام. كمـا أنـه مـن الأهميـة بمكـان أن يكـون للأطفـال دور في بعـض الأمـور ذات الإمتيـاز الخـاص مثـل: اختيـار مـا يرونـه أو يسـمعونه في وسـائل الإعـلام المختلفـة - مـع توجيههـم بخصوصهـا روحيـاً وعمليـاً - أو اختيـار مكـان النزهـة في عطلـة نهايـة الأسـبوع. كذلـك يمكـن عمـل مواقـف خاصـة بـالطفل مثـل عيـد ميـلاده، وشـراء حاجياتـه، وذلـك مـع الاهتمـام بإشـعار الأطفـال أنـه لا منافسـة أو فارقـاً بينهـم، بـل المحبة لكل واحـد منهـم في ذاتـه.

وفي النهايـة يمكننـا أن **نجعـل كـل طفـل يشـارك في نفـس الأنشـطة عندمـا يبلغـون أعمـاراً معينـة**، مثـل فـرق المرشـدات (للبنـات) أو جماعـات الأنشـطة الصغـيرة، أو عبـادة مـا قبـل النـوم. وإن عمـل التـوازن لمثـل هـذه الأنشـطة يسـاعد في فـض النزاعـات الأخويـة، وبالتـالي في جعـل أعضـاء الأسرة أقـرب مـا يكونـون إلى بعضهـم بعضـاً.

ولكن مـاذا لـو كـان هـو **الطفـل الوحيـد** لوالديـه؟ هنـا ربمـا يمكـن ضـم الأقـارب (أولاد العـم أو الخـال أو العمـة أو الخالـة) والأصدقـاء إلى هـذه

التداريب.

إن القديس ذهبي الفم يختم أفكاره لتوجيه الأسرة للانشغال بهذا الفكر:

[شكّل روحه لكي يأتي بأفكار التعقل. فعندما لا يعتمد على أحد إذا أصابته خسارة، وعندما لا يحتاج إلى خدمة، وعندما لا يغتاظ من تقديم الكرامة لغيره، فأي مثير للغضب سيكون هناك بعد ذلك؟]

الحياة في الكنيسة

لم يساوم القديس يوحنا ذهبي الفم أبداً في موقفه وهو يقول: [**دعْ الطفل يذهب إلى الكنيسة**].

لم يقل للوالدين أن يكتفوا بتعليم الدين لأطفالهم بالمنزل (أو إن شاءوا يرسلونهم إلى المدارس التابعة للكنيسة). لم يقلْ البتة إنه من المستحسن بقاء الأطفال الصغار بالمنزل أو إنه يوجد من الأعمال ما هو أهم من الكنيسة صباح يوم الأحد (أو صباح الجمعة في بلادنا).

لا! بل قال أيها الوالدون أحضروا أولادكم إلى الكنيسة! لماذا تُعتبر هذه الوصية بهذا القدر من الأهمية؟ لأن في الكنيسة يسمع الطفل تعاليم يسوع، ويتعرف على محبة الله لشعبه، ويتعلم معنى العيشة المسيحية الحقة، ويسمع التسبيح والشكر لله، كما تتهيأ له الفرصة ليشترك في ملكوت الله على الأرض من خلال تناوله من سر

الإفخارستيا.

كيف تُدرِّب الطفل ليطلب ملكوت الله، إن لم يسمع ويختبر ذلك مباشرة؟ يجب علينا مصاحبة أولادنا للقداس الإلهي يوم الأحد وأيام الأعياد والمناسبات الطقسية. ولكن فلنتذكر أن لا نتمادى جداً في ذلك بل يكفي أن نشجعه للحضور في الأيام الأخرى بخلاف يوم الأحد، ولكن في حدود المعقول.

سوف يفرح الطفل بالأعياد، وهو يرى البركات الخاصة توزَّع على المؤمنين مثل: الزيت، الماء، السعف، لقمة البركة. وفي الكنيسة يجب أن نرشده ونعلِّمه عن القديسين المرسومة صورهم في الأيقونات. دَعْه يقبِّل الأيقونات، ويوقد الشمعة، وشجعه ليصبح مرتِّلاً ضمن خورس المرتلين في الكنيسة. كل ذلك سيقوده إلى كلمة الله، وسيكلِّل مجهودك في تعليمه بالنجاح.

إنه يجب أن نعلِّمه أن ينتظر على مدى الأسبوع موعد الذهاب للكنيسة بمحبة ولهفة، وليس كفرض ثقيل على نفسه.

ويجب أن يُشارك الطفل على قدر طاقته في أسرار الكنيسة. وبما أنه قد بدأ حياته بسرِّ المعمودية، فإنه يجب أن يداوم على الاشتراك في سرِّ الإفخارستيا وسرِّ التوبة والاعتراف:

[دعه يتعلَّم الصلاة بحرارة وانسحاق؛ ولا تَقُل لي إن الولد لا يقدر على أن يتعلَّم هذه الممارسات. إن الولد سريع الفهم والتيقُّظ، بوسعه أن يتعلَّم بسرعة ... دع الولد يتعلَّم الصلاة بانسحاق عظيم، وأن يحافظ على صلوات السهر إذا كان في

إمكانه ذلك.] (فقرة ٨)

الصلاة:

عندما يجتمع الشعب معاً في الكنيسة، فإن صلواتهم تكون بمثابة صلاة واحدة. وهنا يسمع ويتعلَّم الطفل صلاة الكنيسة الواحدة.

وعلى الوالدين أيضاً أن يعلِّموا طفلهم أن يصلِّي في البيت، ويساعدوه بالتالي على أن يفهم كيف يجعل من كلِّ كلمةٍ وفعلٍ وعمل صلاةً. الصلاة في معناها البسيط هي الحديث مع الله. وينبغي أن تتكون صلواتنا من التسبيح والشكر والتوسل واستغفار الله؛ تماماً كما تتكون أحاديثنا مع أصدقائنا.

وفي هذه الصلاة يجب أن تتضمن صلواته بعض الصلوات المحفوظة غيباً مثل: صلاة الشكر: «فلنشكر صانع الخيرات»، و«أيها الملك السمائي»، و«قدوس الله»، و«الصلاة الربانية»، وبعض المزامير، وبعض الصلوات والتسبحات المذكورة في الإنجيل. أمَّا باقي مواصفات الصلاة مثل عددها وطولها وكلماتها فهذه كلها تعتمد على شخصية كل طفل وتتنوع بتنوعها، ولكن أهم شيء هو أن تأخذ الصلاة مجراها في حياة الطفل وفي برنامجه اليومي.

ولا بد أن يكون هناك صلاة عائلية يومية، ومديح لقديس اليوم، يُتلى قبل موعد الغذاء مثلاً؛ ثم الاجتماع الأسبوعي لقراءة الكتاب المقدس، وطقس مباركة البيت الجديد.

ويؤكد القديس ذهبي الفم على أن نحذر من جعل الصلاة عبئاً ثقيلاً على طفلنا، بل أن نعوِّده على أن يكون يقظاً منتبهاً أثناء الصلاة.

إن صلوات ما قبل النوم هي الصلوات الشائعة بين الأطفال؛ على أننا لا يصح أن نسرع في أداء هذه الصلوات بحجة أن الطفل مُتعب والوقت متأخر.

الصوم:

أمَّا بخصوص الأصوام، والامتناع عن الأكل، فإن القديس يوحنا ذهبي الفم يعلِّم الوالدين أن لا يثقِّلوا على الطفل في هذا، بل أن يَدعوه يصوم يومي الأربعاء والجمعة على الأقل (فقرة ٧٩)؛ حيث أن هذا الصوم معروف منذ فجر المسيحية ومثبت في طقس الكنيسة الأولى (كما ورد في كتاب: "الديداخي").

نحن لا نريد أن نثبط عزيمة الطفل، بل بالحري أن نشجعه ليختبر النصرة وليس الفشل.

ويجب أن نتذكر أيضاً أن الصوم ليس حرماناً من بعض الأطعمة بقدر ما هو صوم عن الغضب والبغضة والحسد والكبرياء ... إلخ. إن الصوم «**فعلٌ**» أكثر من كونه «**عدم فعل**» شيء ما؛ الأمر الذي يعني محاربة شهواتنا، والاقتراب من صيرورتنا على صورة الله ومثاله أكثر فأكثر، والحياة بعيشة مسيحية حقيقية.

لقد أفرزت الكنيسة مواسم محدَّدة للصوم، وهي أصوام ما قبل الميلاد وما قبل الفصح (الصوم الكبير) والرسل والعذراء، لتهيئنا لفرح العيد. واتِّباعاً لتعليم القديس يوحنا ذهبي الفم فلا بد أن نجعل طفلنا يصوم عن الطعام على قدر ما يستطيع؛ ولكن علينا أن نعلِّمه أن الصوم هو «**فعل**»، مثل قراءة بعض الكتب المسيحية بدلاً من إضاعة

الوقت سُدىً، والمعاونة في أعمال المنزل، والعناية بإخوته، والتحكُّم في مشاعره. كما أن انتهاء الصوم لا يعني أن يرجع إلى عاداته القديمة، بل عليه أن يستمر في تكميل سيرته الطيبة التي بدأها.

لأنه لماذا نرجع إلى الوراء بعد أن سرنا قُدُماً للأمام؟ لماذا نهدم بأيدينا ما بنيناه ونجحنا في بنيانه؟

تسمية الطفل:

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم:

[فلينطبع أثر رجل قديس على الطفل بطريقة أو بأخرى] (فقرة ٨٠).

هذا الرجل القديس الذي يشير إليه ذهبي الفم قد يكون رجلاً مسيحياً حقيقياً أو امرأة مسيحية تقية من أصدقاء الأسرة، أو كاهناً ممتازاً تقياً.

[اجعله يرى كثيراً رئيس كنيسته، وأن يسمع بعض كلمات المديح من شفتي الأسقف] (فقرة ٨٣)، أو فليتأثر من القديس الذي يحمل اسمه.

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم:

[فلنوفِّر للطفل فرصة الترقي إلى الصلاح من الاسم الذي نسميه به]، فلا نسمِّي الطفل باسم من أسماء العائلة [بل بالحري على اسم أحد الأبرار أو الشهداء أو الرسل أو الأساقفة القديسين]. وبتسميتنا الطفل على اسم أحد القديسين (أو احدى القديسات إن كان الطفل بنتاً) [فلنبدأ بالاعتناء بأطفالنا وتربيتهم] و [لنجعل أسماء القديسين تدخل بيوتنا من خلال تسمية أطفالنا بهم]، لأن الوالدين سوف يتعلَّمون هم أيضاً ويرتشدون حينما يتأملون في القديس المسمَّى طفلهم

على اسمه. فإذا كان اسم هذا القديس قد تسمَّى به أحد الأقارب الذين انتقلوا، فإن الوالدين والأطفال إذا تأملوا في حياة هذا القديس وإذا صلُّوا مع هذا القديس، فإنهم سوف يتعزُّون في فقدان قريبهم هذا (فقرات من ٤٧–٥٠).

إن الكنيسة تتذكر يومياً قديسيها. ضع في ترتيبك أن تقيم احتفالاً في يوم عيد القديس الذي تَسَمَّى به طفلك، تماماً كما تقيم احتفال عيد ميلاده السنوي. أعطِ لطفلك أيقونة القديس الذي تَسَمَّى باسمه لتساعده على تقوية أُلفته مع هذا القديس. وقد يكون من المناسب أن يقدِّم إشبين الطفل هذه الأيقونة له في يوم عماده. إننا نرغب أن يستلهم طفلنا قدوته من تلميذ تابع حقيقي ليسوع المسيح، وليس فقط من شخصية خرافية بطولية مثل شخصيات الممثلين ونجوم الرياضة.

فإذا سردنا للطفل سيرة هذا القديس، فسوف نقدِّم له نموذجاً في أهمية المجاهدة للحياة في المسيح؛ ولبلوغ الفضائل المسيحية؛ ولمصارعة الشيطان وغواياته، ولتسبيح الله، ولقراءة الإنجيل والصلاة إلى الله في المسيح بالروح القدس، ولإتيان كل فعل لمجد الله، ولأن يصير ابناً لله.

الحياة الاجتماعية:

إن القديس يوحنا ذهبي الفم يشير إلى كيف يمكن للآباء أن يرشدوا طفلهم في نواحي الحياة الاجتماعية المختلفة.

إن الوالدين يمكنهم أن يشرحوا لطفلهم حقيقة وجود الظلم الاجتماعي للمستويات المختلفة في المجتمع، جنباً إلى جنب مع التأكيد على ضرورة معاملة الجميع كإخوة وأن نكون لطفاء مع الكل (فقرة ٧٢).

[فلنعلّمه أن يهتم بالأمور السياسية، ولكن على قدر طاقته وبمعزل عن الخطية] (فقرة ٨٩).

[فإن خدم كجندي حينما يبلغ السن الملائمة لذلك، فليتعلَّم أن ينأى بنفسه عن الربح الحرام، وهكذا إذا توجه للدفاع عن قضية المتألمين ظلماً، أو في أي ظرف آخر من الظروف] (فقرة٨٩).

وعلى الوالدين أن يساعدوا الطفل على أن يتعلَّم كيف يسلك الطريق المسيحي في أي مجال من مجالات حياته. إن حياته بجملتها يجب أن تعكس الأسلوب المسيحي للحياة؛ ليس فقط في جانب أو جوانب من الحياة أو في وقت دون آخر، بل الحياة بجملتها ودائماً.

وعلى مائدة الغذاء فلتناقش مع طفلك الأكبر عناوين أهم الأنباء اليومية، وكيف يجب أن نفهم الموقف السليم على ضوء المُثُل المسيحية الإنجيلية، في هذا الموضوع أو ذاك، ما يُشغل مجتمعنا ووطننا. لا يصح أن نكون سلبيين فنترك طفلنا نُهْباً لمُثُل عُليا غير مسيحية إنجيلية، فينساق وراء مشاعر كراهية أو تعصُّب أو انحياز أعمى أو بطولة زائفة بعيدة عن روح المسيح نفسه. فلا بد أن نساعد طفلنا على تكوين موقفه تجاه القضايا العامة والخاصة بروح المسيحية الصافية، القائمة على محبة الجميع حتى الذين يضايقوننا أو يتهكمون على أو يهاجمون عقائدنا الدينية.

التأثيرات التي يتعرض لها الطفل:

ينبِّه القديس ذهبي الفم الوالدين أن يكونا يقظين على طفلهم لئلا يحضر احتفالات المسارح المنحطة (فقرة ٥٥-٦٢)؛ وهو ما يقابل في

مجتمعنا اليوم الأفلام الهابطة أخلاقياً. والقديس ذهبي الفم يشير إلى ذلك في معرض حديثه عن حاسة النظر لدى الطفل، لأن [العين يصعب عليها أن تحرس ما يراه الطفل مُباحاً وجميلاً. فهي لا ترى فقط بل تُرى أيضاً]، يقصد أن ما تراه العين يؤثر في صاحبها.

فإن كان طفلك يقضي وقته في رؤية مثل هذه المناظر، فاعرض عليه صور خلائق الله الطبيعية وحدِّثه عن [جمال النفس]. اذهب معه إلى فرقة موسيقية راقية، خذه إلى الريف، زُرْ معه ومع العائلة المتاحف:

> [هيىء لطفلك مُتعاً أخرى لا تؤذيه. فلنقتاده إلى الرجال القديسين، فلنُعْطِه فترات اختلاء روحي، فلنُظهر له عظم اهتمامنا به عن طريق الهدايا الكثيرة، حتى ترضى نفسه حينما نرفض أن يحضر تلك العروض المسرحية المؤذية] (فقرة٧٦).

إن النقود تسهِّل للطفل أن ينغمس في هذا الارتياد غير المطلوب؛ لذلك [لا تعطِه نقوداً، لا تسمح بأي شيء مخجل يدخل في حياته]. فإذا أعطيته نقوداً لمصروفه الشخصي، أو إذا تلقَّى هدايا نقدية منك أو من غيرك، فمن الحكمة أن تراجع معه كيف أنفق هذه النقود. ويمكن أن يتفق أفراد العائلة كلهم على أن يقتصدوا من مصروفهم الشخصي شيئاً ويحتجزوه جانباً، ليصرفوه على تقديم العطايا للكنيسة أو المساهمة في المشروعات الكنسية أو لرحلات العطلة الصيفية ... إلخ.

إن سلوك الوالدين ذاته قد يكون إيجابياً أو سلبياً في تأثيره على تنشئة الطفل وحسن تربيته. فإن كان الوالدان مُدرِكَيْن وواعيَيْن لأخطائهما ورذائلهما، فإن القديس ذهبي الفم يعلِّمهما أن يصححا طرقهما وأن يعملا على تنشئة طفلهما لله (فقرة ١٩). [أما إذا كان

الوالد يحكم نفسه جيداً، فسوف ينجح جداً في تعليم ابنه هذه المُثُل، لأنه في هذه الحالة سوف يحرص دائماً على تحسين النموذج والقدوة التي عليها سينشأ ابنه.] (فقرة ٧٠)

إذ كيف يمكننا أن نعلِّم الشفقة إن لم نكن نحن شفوقين على طفلنا وعلى الآخرين؟ كيف يمكننا أن نعلِّم أطفالنا أن يذهبوا للكنيسة إن كنا نوصلهم للكنيسة فقط دون أن نحضر نحن معهم القداس الإلهي؟ كيف نتوقع أن يقضوا وقتهم بحكمة إن كانوا يروننا نقضي كل أوقاتنا أمام جهاز التليفزيون؟ كيف نريد أن نكون قدوة حسنة لطفلنا ونحن نبرِّر سلوكنا غير الصحيح له؟

والقديس ذهبي الفم بالرغم من أنه قصد من كتابة هذا المقال أن يساعد الوالدين ليربُّوا أطفالهم حسناً، إلاَّ أنه، وبطريقة غير مباشرة، يعلِّم الوالدين أن يدرِّبوا أنفسهم هم أولاً ليبلغوا الحياة في المسيح، وأن يجاهدوا من أجل الغايات نفسها التي يريدون أن يربُّوا أطفالهم ليبلغوها. فما يطبِّقه ذهبي الفم على الأطفال يطبِّقه على الكبار. لأن الكل - صغاراً وكباراً - في نظر الله هم أولاد الله.

انتباه الوالدين لسلوك المربين الآخرين:

لقد تحقق القديس يوحنا ذهبي الفم أن الآخرين والبيئة المحيطة بالطفل قد تشجع وقد تُفسد مجهودات الأبوين التربوية، وقد تُعطِّل نجاحهم في البلوغ بالطفل إلى أهدافهم. فالمدرسون والمربُّون والمربيات أو أي واحد آخر يُكثر من الاتصال بالطفل يجب أن ننتبه لسلوكه الشخصي وسلوك الطفل، وعلى هؤلاء أن تكون لديهم الرغبة في

تصحيح سلوكهم. لذلك فيجب على الوالدين أن يختاروا بحرص مربيي طفلهم: [على الذين يشاركوننا في تربية الطفل أن يكونوا مشهوداً لهم] (فقرات ٣٧و٣٨).

ولمصلحة أطفالهم، يجب على الأبوين أن يتعرَّفا على مُدرسي المدرسة، ورفقائهم في اللعب، والأخلاق العامة التي تسود جو المدرسة. كما يجب انتقاء الشغَّالين بالمنزل بعناية أيضاً تماماً كما ينتقي الأبوان أصدقاءهما. وإن استدعى الأمر، فعلى الوالدين أن يتخذوا الإجراء المناسب تجاه من يتصرف بخلاف ما سبق أن أوضحناه (فقرة ٥٣).

تربية عادات الكلام القويمة:

ويشير القديس ذهبي الفم إلى أن القائمين بالعناية بالطفل يجب أن يكونوا واعين لعادات كلامهم على الأخص، وكذلك لعادات كلام الطفل. وإنه من السهل تقويم أي خطأ في ذلك، إذا ساعده كل الذين حوله (فقرة ٣٢و٣٣). وطريقة الحديث القويمة ليس فقط تخلو من الحلف (القَسَم) ومن الألفاظ النابية (الشتيمة)؛ بل هي تتضمن أصول الحوار مع الآخرين أو حول موضوع أو موقف معين. كيف - مثلاً - نتناول الحديث عن كاهن الكنيسة والجيران ورجال الحكم وأصدقائنا وزملائنا؟ هل نحن حقاً نخجل من أن يسمع الطفل ماذا نقول؟ إن كيفية حديثنا عن الآخرين هي أمر مهم، وعلى الأخص انتقادنا وشتيمتنا أحياناً للآخرين، ويجب أن نُبعد الطفل عن المشاركة وسماع مثل هذه الكلمات السلبية والمباحثات الغبية التي تحطُّ من قدر الآخرين. وعلى العموم فيمكننا أن نعدِّد ما هي الأحاديث المرغوب

فيها وتلك غير المرغوب فيها: كلمات الشفقة والاحترام والحق والرحمة مقابل كلمات اللعنة والبُغضة والمقاومة والجفاء. علماً بأن الحديث قد يبدأ طيباً نافعاً، ثم سرعان ما ننحو به نحو الأحاديث البطّالة.

التربية في البيت:

يعطينا القديس ذهبي الفم مثالاً واحداً عن أحاديث أوقات الفراغ: [علّم الطفل فصلاً من الإنجيل بحقائقه ومعانيه] (فقرات ٣٩-٤٥و٥٢). وهو يرسم للوالدين منهج التدريس؛ في بساطته وتأثيره. فإن كان الطفل حدثاً، فابدأ دروسك بالقصص المبهجة الجذابة. ويجب تخصيص وقت العشاء لمثل هذا العمل. اسردْ للطفل خطوة خطوة، الحقائق التي في القصة دون تزويق، حتى لا تبدو القصة أنها خرافية. فإذا وجدت الفرصة سانحة، فابدأ بتطبيق أحداث القصة على حياة الطفل اليومية. [لو كانت القصة ذات مغزى عميق فإن تأثيرها سيملأهم بالوقار والإعجاب.]، واستخدم الألفاظ البسيطة السهلة. فإن كان الوالدان حاضرين، فالآخر غير الذي يسرد القصة عليه أن يقوم بالتعليق على حوادث القصة التي سردها الأول؛ حتى يكون التدريس مشتركاً بين الوالدين. فإن لم يفهم الطفل معنى إحدى الكلمات أو الجمل، فلا تقلق لأنه سيفهم المعنى من تعبيرات وجهك ونغمة صوتك. كرِّر القصة عدة مرات في الفترة الواحدة. وكم سيكون فرح الوالدين ورضاهم – مكافأة لهم على تعبهم – حينما يرون طفلهم في الكنيسة وقد انفرجت أساريره وهو يسمع ذات القصة من فم الكاهن أو الواعظ. وأخيراً ادعُ الطفل أن يكرر القصة. فإن أبْدَى الطفل ما يمنعه من سرد القصة، فساعده بأن تذكر له بعض

الألفاظ منها حتى يمكنه أن يستطرد هو في سردها. وحالما يعرف الطفل شخصيات القصة وحبكتها، فابْدأ بشرح معناها وتأثيرها على حياته. وتذكَّر أن القصة الواحدة قد يكون فيها نقط كثيرة جديرة بالتعليم؛ لذلك، فإن الوالد يمكنه أن يشرح كل هذه النقط واحدة واحدة.

[وبعد ذلك حينما ينمو الطفل، يمكنك أن تسرد له بعض القصص ذات الموضوعات التي تبعث الهيبة والمخافة الإلهية؛ لأنه وهو بعد صغير لا يمكنك أن تضع عبئاً كبيراً على فهمه، لأنه مازال رهيفاً وإلاَّ فإنك ستفزعه].

فإذا كبر الطفل، ناقش معه المفاهيم الأعمق والأصعب التي تناسب عمره؛ مثل العقاب الإلهي، وأعمال النعمة واللعنة، وبعض التفاصيل عن قصة هلاك سدوم، عبودية بني إسرائيل للمصريين. وبعد أن يعرف الطفل القصة الأُولى جيداً، انتقل منها إلى قصة ثانية تكون مرتبطة إلى حد ما في التفاصيل أو الموضوع، وهكذا الثالثة فالرابعة ... إلخ.

هناك الكثير من أحداث الكتاب المقدس يمكننا أن ننتقي منها ما نبدأ به تعليمنا للطفل داخل البيت: رؤساء الآباء الأولون، العائلات الكبرى الأولى، الأنبياء، الملوك في العهد القديم، التعاليم والوصايا، الأمثال، المعجزات، حياة المسيح، حياة الرسل والمسيحيين الأوائل في سفر الأعمال، رسائل الرسل. وهكذا يمكننا أن نستبدل القصص الخرافية التي نسردها للطفل قبيل نومه بهذه القصص الحية من الكتاب المقدس. وهناك العديد من الكتب التي تسرد قصص الكتاب المقدَّس للأطفال بصورة مناسبة لأعمارهم، ويمكن شراء هذه الكتب ووضعها

في مكتبة الطفل الخاصة. فإذا شبَّ الطفل قليلاً، علينا أن نعطيه نسخة من الإنجيل، وهذا نوع مفيد من الهدايا لأعياد ميلاد الطفل نقترحه على الوالدين والأشابين.

ويقترح القديس ذهبي الفم أن نمارس تعليم الطفل في البيت، ليس فقط في أوقات فراغه، بل لنكمل محاولاتنا لتربية الطفل عموماً. لأننا في بعض الأوقات سوف نجد من النافع أن نذكِّر الطفل بقصة تُشجِّعه على سلوك معين أو تمنعه عن سلوك آخر، مثل قصص: السامري الصالح، صبر أيوب، الابن الضال، توبة داود.

الانضباط، والقواعد، والعقاب:

[لن أكفّ عن التوسُّل إليكم ورجائكم وحثِّكم، قبل أي شيء آخر، أن تضبطوا أبناءكم من البداية.] (فقرة ١٩)

فالوالدون مثل الملوك والملكات، في سيادتهم على أطفالهم. وهم كحكام لأطفالهم عليهم أن يضعوا القوانين ليحفظوا استقامة الحياة العائلية. فمن المهم للطفل أن يعرف القواعد التي يسير بمقتضاها. ومن الصعب (ولكن ليس مستحيلاً) على الطفل الكبير أن يسير بحسب قواعد لم يتبعها وهو بعد صغير. لذلك فعلى الوالدين أن يضعوا [القوانين التي تبعث المهابة، وأن تكون قوية]. فإذا كُسرت هذه القوانين فعلى الأبوين أن يعملوا على تطبيقها قسراً، وإلاَّ فإنها ستكون بلا منفعة، ولكن على أن يكون ذلك مُصاحباً بإقناع الطفل وترغيبه في تطبيقها (فقرات ٢٣-٢٦). فعلى الوالدين أن يكونا حازمين في ضبطهما (فقرة ٣٣) لأنهما في الواقع يمثلان [القانون الملوكي] لأولاد

ا لله (فقــرة ٣٤).

ولكـن مـاذا نفعـل حينمـــا يكســـر الطفـــل القـــاعدة؟ علـــى الأبويـــن أن يختـارا بـين عـدة ردود الفعـل الآتيـة: ففـي بعـض الأوقـات يجـــب أن توبـــخ الطفــل بالكلمــات وبمظهـــر الوجـــه. أو يمكنـــك أن تســـتخدم اللطـــف والترغيب للطفـل بـأن تقـدِّم لـه شـيئاً إذا غـيَّر سـلوكه غـير المرضـي. وهنـاك بعـض الأوضـاع تسـتدعي العقـاب الجسـدي، ولكـن لا تلجـأ دائمـاً وكثـيراً لهـذا النـوع مـن العقـاب، لأن [الطفـل قـد يتعلَّـم كيـف يرفـض هـذا العقـاب]، فيصـير هـذا العقـاب بـلا نتيجـة إيجابيـة؛ إذ لـن ينصلـح نتيجـة لذلـك العقـاب الجسـدي. وبعـض الآبـاء يسـتخدمون أسـلوب التهديـد، بإيقـاع العقـاب علـى أطفـالهم (فقـرة ٣٠). [فلتذكِّـره بـالدروس الـتي تعلَّمها منـك في البيـت]، واسـتخدم أمثلـة أخـرى مـن الكتـاب المقـدَّس بخصـوص السـلوك غـير اللائـق (فقـرة ٦٩). وأخـيراً فـإن الأبويـن يمكنهمـا أن يتكلمـا بهـدوء إلى طفلهمـا موضحـين كـم أن هـذا السـلوك خـاطئ، [ثـم فلنقبِّلـه ونحيطـه بذراعينـا، ونضغطـه علـى صدورنـا، لنُظهـر لـه حبنـا] (فقرة ٧٨)؛ موضحـين لـه أن كـل مـا نعملـه لـه فهـو للمصلحـة العامـة لـه. ويمكـن للوالديـن أيضـاً أن يوضحـا لـه بهـدوء أن الذيـن يفعلـون مثـل هـذه وينسـاقون وراء رغبـاتهم إنمـا ينـالهم [الخزي والتوبيـخ والتـأديب.] (فقـرة ٧٩)

فمتى وكيـف يؤنِّـب الوالـدان ابنهمـا ومتـى يعاقبانـه؟

بالإضافـة إلى مـا ذكرنـاه سـلفاً، فيمكننـا أن نذكـر التـالي: إذا أسـاء الطفـل إلى الآخريـن، فعاقبـه حتـى يكـفَّ عـن الشـتائم والألفـاظ النابيـة (فقـرة ٣١و٦٩). وإن تكلَّـم عـن أخطـاء الآخريـن، فاجعلـه يعـدِّد أخطـاءه

هو (فقرة ٣١). [أَظهرْ له الازدراء بما يُثير الشهوة وامدح أمامه ضبط النفس. فإن هذا سيؤدي إلى ضبط نفس الصبي؛ وسوف نجد أن لذلك آثاراً خطيرة للغاية.] (فقرة ٨٥)

وليس فقط على الوالدين أن يكونا [صارمين وألاَّ يستسلموا] حينما يكسر الطفل القواعد المرعية، بل عليهم أن يكونا أيضاً [كرماء ولطفاء وأن يسبغوا عليه المكافآت الكثيرة] حينما يراعي هذه القواعد، [فإن الله يدبر العالم بالترهيب من جهنم وبالوعد بملكوته. هكذا نحن أيضاً يجب أيضاً أن نربي أطفالنا] (فقرة ٦٧). وكثيراً ما ننسى ولا نعمل أي مجهود لنكافىء أطفالنا. فيمكننا أن نقدم لهم امتيازات خاصة؛ مثل القيام برحلة خاصة، زيارات الأصدقاء أو تقديم الهدايا الخاصة. بل إنه حتى المكافأة الكلامية بكلمة «شكراً لك»، أو «لقد أتيتَ هذا العمل جيداً جداً»، أو «لقد بذلتَ كل جهدك»، بالإضافة إلى ابتساماتنا، وقبلاتنا، فإنها ذات وقع يتقبَّله الأطفال.

متى نبدأ؟

الطفل هو ذلك الصغير عديم الخبرة، الرقيق والسهل التأثر والإقناع؛ وهو ليس مستقلاً بل يعتمد على الآخرين. فكلما بكَّرنا في تربية طفلنا ليحيا مسيحياً، وليجاهد ليغلب أهواءه، وليسعى لأن يكون ابناً لله في ملكوته، كلما نجحنا في مسعانا.

[فإن انطبعت الوصايا الصالحة على النفس بينما هي ما زالت غضَّة، فلن يقدر أحد أن يحطمها ... فالطفل يكون ما زال خائفاً وهيَّاباً في نظراته وكلامه وفي كل شيء آخر.] (فقرة ٢٠)

[إنـه مـن السـهل أن يُقتـاد. فهـو لا يحـارب مـن أجـل جـاه أو عظمـة. لأنـه مـا زال طفـلاً صغـيراً - ولا مـن أجـل زوجـة أو أطفـال في البيـت. فـأي سـبب يدفعـه إلى الغطرسـة أو التلفُّـظ بالشر؟ إنه يتنافس فقط مع رفقائه من ذات السن.] (فقرة ٢٩)

إن واجب الوالدين هو مثير للرهبة، وقد يبدو صعباً تنفيذ ما أشار إليه القديس ذهبي الفم. لكن ذهبي الفم يقدِّم لنا الهدف الذي يجب على كل مسيحي أن يجاهد ليبلغه، وبالتخصيص ما يجب أن نقود أطفالنا ليبلغوه. إنه يجعلنا نواجه القضايا الهامة والحقيقية في تربية أطفالنا.

أما عن نفسي (أي كاتبة المقال) فإن مقال ذهبي الفم جعلني أتأثر جَدِّياً بالموضوع. وقد لا يكون ذهبي الفم قد أعطانا الرد على كل ما في ذهننا من أسئلة، ولكني أحس بأننا يجب أن نعتبر تعاليمه نبعاً غالياً في عملنا لتربية أطفالنا.



القديس تيموثاوس وأُمُّه أفنيكي

«وأنكَ منذ الطفوليَّة تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكِّمك للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع .»

(٢تي٣:١٥)

الثمن ٥٠ قرشاً